صورة الآخر في أدب جوته

تركي المغيض

أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

يعد جوته من أكثر أدباء الغرب بصفة عامة والألمان بصفة خاصة اهتماماً بالإنسان، بغض النظر عن دينه وجنسه وعرقه. وانطلاقاً من هذه الرؤية دعا إلى تبني مفهوم «الأدب العالمي» الذي انبثق من نزعته الإنسانية التي تسمو على كل انتماء ضيق عرقياً كان أم جغرافياً أم دينياً. وقاده حبه للمعرفة إلى الاطلاع على آداب الشعوب المتنوعة وثقافاتها.

إن دراسة صورة الآخر في هذا السياق تندرج تحت إطار الانفتاح على الآخر الذي يزداد به الإنسان فهماً وتفاهماً، ويُهيّئ بيئة خصبة تزدهر فيها القيم الخالدة التي تنسج المحبة والأخوة والخير بين البشر، ليعيش الإنسان في عالم أكثر إنسانية ومعرفة وتسامحاً.

وسيبين البحث صورة الآخر في أدب جوته واستجلاء عناصره ومعالمه؛ إذ يشتمل مفهوم «الآخر» في هذا البحث على ما يأتي :

- الشخصية العربية : شعراء وأدباء وشخصيات عامة.
- الشخصية الدينية : شخصية النبي محمد – ﷺ– وبعض صحابته ونساء مسلمات، مثل فاطمة وخديجة...
- الشخصية الفارسية : شعراء مثل: حافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي والفردوسي.
- شخصيات عامة: شهرزاد، زليخا، ...
- شخصيات عامة كنماذج إنسانية عالمية مثل: فاوست، وتيمورلنك، بروميثيوس.

ويخلص البحث إلى أن جوته قد عبر من خلال أدبه عن رؤيته للإنسان وتقديره لفكره وقيمه وأثر ذلك في بناء الحضارة العالمية؛ إذ يعد جوته أول أديب من الغرب يقوم بتأليف ديوان عن الغرب والشرق، سماه: «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» مجسداً فيه قيم التسامح والتفاهم بين الحضارتين.

مقدمة

كان جوته شاعر ألمانيا وعاشق الشرق وكاتباً عالمياً وباحثاً ومكتشفاً لكثير من المسائل العلمية والطبيعية، وكان يقول: «إنّي أعرف الكثير، ولكنني أريد أن أعرف أكثر». ويعد جوته رابع عظماء الشعر والأدب الغربي، بعد الإغريقي «هوميروس» والإيطالي «دانتي» والإنجليزي «شكسبير»، وانطلاقاً من رؤيته الشاملة وإدراكه العميق للأمور عكف على دراسة الأدب والشعر والرسم والموسيقى والعلوم التطبيقية والطبيعية والفنون والسياسة والطب والهندسة.

ونادى جوته بعالمية الأدب، فالأدب تجربة إنسانية عامة، مُعبّرة عن طموحات الإنسان وقضاياه ورؤاه . وكل أمة تعبر عن تلك التجربة بلسانها، ومن النافع والمفيد أن يستفيد كل أدب من الآخر؛ لأن هدف كل تلك الآداب هو الإنسان.

وانطلق جوته في اجتراحه لمصطلح الأدب العالمي من إيمانه بمبادئ التسامح بين الأمم والشعوب. ومعايير الاحترام المتبادل . لهذا أدرك جوته أنَّ فكره «الأدب العالمي» ليس معناها «تماثل» كل الأمم في التفكير، وإنما المقصود هو الدعوة إلى الاختلاف والتنوع الذي يتراءى في آداب الشعوب ويحق لها أن تسعد به. وهذا التوسع في تيسير طرق الاتصال يفضي إلى زيادة معرفة الآخر والتقارب بين الشعوب وتعرّف بعضها على بعض – عن قرب – من خلال آدابها وفنونها وثقافاتها.

وفي الحقيقة كانت فكرة جوته عن الأدب العالمي تعبيراً عن رغبته في توطيد عُرى الأخوة وبذر بذور السلام والتسامح بين بني البشر، ومد جسور التواصل بين الشعوب وتقريب ثقافاتهم بعضهم إلى بعض والانفتاح على ما عند الآخر من علوم وآداب وفنون.

إن جوته يمثل في آرائه عن الشرق وشعوبه، مثل العرب والفرس، مرحلة العصر الرومانسي في الغرب، الذي بدأت فيه صورة الشرق متوازنة ومعتدلة . ولكن مع نهاية العصر الرومانسي انقلبت الصورة وأصبح الشرق نقيضاً للصورة التي كان يحملها الغرب عنه، إلاّ أن جوته ظلّ ثابتاً على آرائه ومتمسكاً بأفكاره، منطلقاً من الفضاء الحداثي والمعرفي الذي يؤمن به خلافاً للتصورات المنمّطة عند كثير من مفكري الغرب الذين صنعوا صورة الآخر في المخيال الغربي دون علم ومعرفة وتحت ضغوط أيديولوجية ودينية وفكرية وغيرها.

لقد كان الشـرق عند جوته ترياقاً ودواءً للقلـق الذي زرعه صعود الحضارة الصناعية الغربيـة وتيـار عصر التنوير والحـروب النابليونية، ولهذا كان أول شـاعر أوروبي مسـيحي يؤلف ديوان شـعر كاملاً عن الغرب والشـرق، يجسـد فيه قيم التسامح والتفاهم والتعايش الثقافي والفكري والحضاري مع الآخر . إنّ جوته يُعتبر – بحق – شـاعر الإنسـان، فقد عبّرَ في جميع أعماله وإنتاجه الأدبي عن نماذج إنسـانية تدل دلالة سـاطعة على الدعوة المفتوحة للحوار والتلاقي، لا التصادم والعزل والتهميش الذي مارسته بعض الثقافات .

الشخصية العربيّة

لقـد افتتن جوته بحياة العرب في البادية، وتربيتهم على القيم النبيلة وما عُرفوا به من شجاعة وفروسية واعتداد بالنفس والنسب والحب العارم وكرم الضيافة والحكمة والبلاغة. ودفعـه هـذا الافتتان إلى توجيـه أنظار بني قومه إليهـا. وانبهر جوته بما انطوى عليه الشـعر العربـي من حماسـة وحمية وارتباط بالطبيعـة ودعوة إلى القيم النبيلة، فيشـيد في مقطوعة بعنـوان : «المـنن الأربـع» Vier Gnaden بالمـنن التي حباهـا الله للعرب، وهـي كما يراها: «العمامـة»(der Turban) و«الخيمـة» (das Zelt) ويقصـد بها بيت الشـعر، و«السـيف» (das Schwert)، و«القصيد» (das Liedchen) فيقول :

بلادهم الشاسعة في يُسر وحبور
حباهم الله من النعم أربعا
حتى يكونوا في السلم آمنين
وهبهم «العمامة» التي تزين
خيراً من تيجان الملوك أجمعين
و«خياماً» بها يقيمون ويتنقلون
ثم وهبهم الله «سيفاً» يحمي ويذود
خيراً مما يفعل السورالعالي والصخرة الصيخود
كما منحهم «قصيداً» يُشجي وقصيداً يفيد
تتلهف شوقاً إليه نفوس الغيد [1]

لقـد عـرض جوته للشـخصية العربية مـن خلال ثـلاث قصائد هي :«دعونـي أبكِ» و«هجرة» و«أنّى لك هذا؟» متأثراً بها من خلال مطالعته للشعر الجاهلي ولاسيما المعلقات. فنـرى جوته يصف الشـخصية العربية بالاعتداد بالحرية والإبـاء، والفخر بالآباء والأجداد. ويرى أنها مشحونة بروح الشرق الصافي، فيقول من قصيدة «هجرة»:

فلتهاجر إذن إلى الشرق الطاهر الصافي
كي تستروح نسيم الآباء الأولين
هنالك، حيث الحب والشرب والغناء
هنالك، حيث ينبوع الخضر شاباً من جديد
... هنالك حيث كانوا يوقرون الآباء
ومن تسلّط الغريب يأنفون [2].

إنَ جوتـه فـي قصيدة «هجـرة» يهرب إلى «الشـرق الطاهر الصافـي» لا من الهزات السياسـية والعسكرية التي جلبتها الحروب النابليونية على أوروبا آنذاك فحسب، بل بسبب المتاهات الفكرية لفلاسفة عصره أيضاً. ومن هنا يشير جوته إلى ينبوع الخضر[3] الذي يجدد الحياة والشباب والفكر.

وفـي قصيدة «دعوني أبك» تُشـكّل البيئـة العربية البدوية الموضوع الرئيسـي بخلاف قصيـدة «هجـرة»، ولقـد كتب جوته قصيـدة «دعوني أبـك» بعـد افتراقه عن مريانـه فيلمر Marianne Willemer التـي هـام بها حباً وفي سـن متأخرة، وألهمتـه أجمل قصائد الحب في الشعر الألماني، وتأثر جوته في قصيدته بالمعلقات وبمقدماتها الطللية والغزلية مُعبّراً عن لوعة الحب ووجده وأثره، فيقول:

دعوني أبكِ، محاطاً بالليل
في الخلوات الشاسعة بغير حدود
الجِمال راقدة، والحُداة كذلك راقدون
دعوني أبك، فليس في هذا عار
فالرجال الذين يبكون أخيار
ألم يبك – آخيل على حبيبته بريساس

واكسركس بكى على الناجين من جيشه
وعلى خليله الذي قتله بيده
بكى الإسكندر
دعوني أبكِ، فإن الدموع تحيي التراب
وها هو ذا يخضوضر[4]

يتخيل جوته نفسه كما لو كان في قافلة جمال في الصحراء، وهذا هو الإطار العام للقصيدة . والموضوع الرئيسي في القصيدة هو البكاء على فراق المحبوبة وتبريره . ويظهر في ذلك تأثّر جوته بالمعلقات عامة وبمعلقة امرئ القيس خاصة؛ فقد كرّر جوته عبارة «دعوني أبك» ثلاث مرات وبرّر بكاءه كما برّر امرؤ القيس، واستدعى جوته شخصيات تاريخية بكت لأسباب مختلفة، من مثل آخيل في إلياذة هوميروس، واكسركس الأول خامس ملوك الفرس، والإسكندر ملك مقدونيا، وبرّر جوته أيضاً بكاءَه كما قال امرؤ القيس في معلقته:

وإن شفائي عَبـــــرة مهـراقة فهل عند رسم دارسٍ من معوِّل

فيقول جوته :

دعوني أبكِ، فإن الدموع تحيي التراب
وهـــا هـــو ذا يخضـــــوضـر

ويلاحظ عند جوته أن التراب يخضرّ من دموع العاشقين لا من الماء، كما أن شفاء امرئ القيس من دموعه السائلة. ولهذا كان تأثير معلقة امرئ القيس – وبخاصة المطلع المشحون بلوعة الحب الوجودي – قوياً في قصيدة « دعوني أبك»، عبر فيها جوته عن شوقه الملتهب على فراق حبيبته مستعيراً عادات العرب وتقاليدهم في التعبير عن الحب ولوعته ومعاناته.

وتظهر شخصية العربي في قصيدة «أنّى لك هذا ؟» (قافلة) [5]؛ حيث يصف في المقطعين الثالث والرابع البيئة البدوية، ومن خلال هذا الوصف يُبرز جوته الصفات التي يتمتع بها العرب، من وصف لحياة الرعي وبيان لبعض عاداتهم وتقاليدهم وكرم الضيافة عندهم، فهم يسرون بالضيف، ويرعون الغريب ويحمونه كما أنهم يتصفون بالرزانة والجدية والشجاعة والخيلاء والفخر بالنفس. وجاءت قصيدة «أنّى لك هذا ؟» رداً على

المتسائلين عن الينبوع الذي تنهل منه شاعريته المتجددة في سنه المتأخرة، فيرد عليهم بأن هذه القريحة الشعرية غذتها رحلة [6] قام بها إلى عالم البدو العربي، فيقول:

كنت أنعم برعاية حداة رزينين	Umsorgt von ernsten Hirten,
يسرون بالضيف وبالقليل من قوتهم يُقرون	Die gern und schmal bewirten.
ألا ما أطيبهم وأحبهم إلى النفس	So ruhig, liebe Leute,
وتحت تهديد الغارات	Bedrohet von Gefechten
كان هدير الإبل	Das Stöhnen der Camele
ينفذ في الأذن والنفس	Durchdrang das Ohr, die Seele,
ويملأ الحداة	Und derer die sie führen
بالفخر والخيلاء [7]	Einbildung und Stolziren [8]

ولعل هذه الصفات التي استلهمها جوته من المعلقات كانت تدور في مخيلته وبخاصة الشجاعة والخيلاء والاعتزاز بالنفس متمنياً أن تكون عند الألمان إبان حروب التحرير الألمانية من تسلط نابليون وفتور همة الألمان .

واستلهم جوته من قصيدة تأبط شراً التي مطلعها :

إنّ بالشعب الذي دون سِلعٍ لقتيلاً دمُه ما يُطلُّ

قصيدته التي يقول فيها :

Unter dem Felsen am Wege/Erschlagen liegt er/Indessen Blut / Kein Tau herabtrauft [9] Mittages begannen wir Jünglinge/Den feindseligen Zug/ Zogen die Nacht hindurch/ Wie schwebende Wolken ohne Ruh/Jeder war Schwert/ schwertumgurtet /Aus der scheide gerissen/Ein glänzender Blitz/ Sie schlürften die Geister des Schlafes/ Aber wie sie mit den KÖpfen nickten/ Schlugen wir sie/Und sie waren dahian [10]

وترجمتها بالعربية :

« تحـت الصخرة على الطريق / يرقد قتيلاً / لا تبلُّ دمُه قطرات الندى/ وعند الظهيرة بدأنا، نحن الفتيان الهجوم/ ثم واصلنا السـير بالسـرى كما لو كنا سـحاباً لا يستكين/ كل واحد كان سيفاً/ متشحاً بسيف/ إذا ما سُلّ/ فهو برق سني/ كانوا يحتسون أنفاس النوم/ ولكن ما إن هوّموا/ حتى رحنا نقاتلهم/ فكانوا هباءً منثورا» [11]

إن قصيـدة تأبط شـراً التـي كان جوته يردد بعـض أبياتها عن ظهر قلـب ألهمته القوة الحقة التي تمنح بني البشر الشجاعة على الثبات في معارك الحياة اليومية، وهدته إلى التعامل مع الأمور التي تسـبب للإنسـان القنوط والإحباط، فغدت بالنسـبة إلى جوته المنطلق الذي يسـاعد على الخروج من عصر العنف الذي لا مرد له والاغتراب السـائد بين البشـر . كما وجد جوته في قصيدة تأبط شـراً وسـيلة إنقاذ تحقق نجاة البشـرية من جنـون التاريخ العالمي وعبثه.

إن قصيدة تأبط شـراً شـكلت أحد المفاتيح الضرورية التي طور من خلالها إرشـاداته الشـعرية في النفحات المدجنة (Xenien)، وكانت واسـطة لفهم ديوان جوته كله عن طريق القلب والتسـتر وفق رأي أدولف موشـك Adolf Muschg في كتابـه عن «جوته المهاجر». فالكلمـة الشـعرية غـدت حاميـة لـه ووسـيلة دفاعية لمجابهـة عبث جبابـرة الطغاة بمسـيرة العالم[12].

إن نظرية موشـك Muschg هذه تسـلط الضوء على علاقة جوته بتأبط شـراً باعتباره إنساناً مناضلاً ومكافحاً ضد الظلم والظلمة حتى صار تأبط شراً عند جوته فارس الصحراء العربـي و«الصنديد الرهيب الخارج على القانون» نداً للمغنّي الشـيرازي «وعضو الحاشـية الملكيـة فـي العصر الوسـيط» وهـو حافظ؛ أي صـار نداً لأولئك الشـعراء الشـرقيين الذين استطاعوا أن يعلّموا فن النجاة والبقاء في عصر فاسد تسوده الاضطرابات [13] .

وفضـلاً عما قيل، فإن إعجـاب جوته بقصيدة مبنية على الروح القتالية والأخذ بالثأر كقصيـدة تأبط شـراً يعود أيضـاً إلى قوة تأثيرها في جوته في فترة شـيخوخته، وبخاصة بعد أن فقـد صديقـة شـيلر (Schiller) الـذي كان يقـف إلى جانبه ويشـاركه معـارك النفحات (Xenien) . فاتصـال جوته في عزلته وزمن شـيخوخته بالروح القتاليـة عند قدماء العرب هو الذبالة التي « تومض من جديد آخر شـعلة في النيران» . وقد حفزته هذه الروح القتالية

عنـد العـرب القدماء على أن يدافع عن نفسـه من جديد، وأن يفرغ ما في نفسـه من سـخط علـى المعوقـات التي كانت تعترض عمله من خلال مجموعـة كاملة من القصائد الهجومية «كالنفحـات المدجّنـة» وغيرهـا مـن القصائد التـي تعبر عن «سـوء المـزاج». ويفصح جوته عـن هـؤلاء الخصوم الذين كانوا يسـببون له المنغصـات والهموم، فيقـول: « إنهم جوقة من المتطفلين، أغلبهم تافه وخبيث» [14] .

لقد اتهم جوته من أعدائه وخصومه بالغرور والتكبر، والتهتك في حياته الخاصة وفي أدبـه، والخضوع للنبلاء والأمراء وفتور الحس الوطنـي والديني، وضحالة البحوث العلمية . وكانت هذه الاتهامات تدفعه أحياناً كثيرة إلى الصمت والانشـغال بعمله وكتابته، وتلزمه أحياناً أخرى إلى الرد على مهاجميه ومنتقديه بسخرية لاذعة وبسخط شديد[15] .

وقد ردَّ جوته على خصومه الذين أخذوا عليه اهتمامه بالشـعر العربي وبالشرق أكثر من اهتمامه بالغرب، على الرغم من أنه شاعر غربي، مبيناً أنّ في انخراطه في الشعر العربي والشـرقي لم يضل ولم يضيّع نفسـه، وإنما جدّد فيه شـباب شـاعريته واقتحم آفاقاً جديدة، ولذلك نراه يقول في قصيدة «هجرة»:

Will mich unter Hirten mischen

An Oasen mich efrischen

Wenn mit Karawanen wandle

Jeden Pfud will ich betreten

Von der Wuste zu den Stadten [16]

وترجمتها العربية :

أريـد أن أدخـل في زمرة الحداة/ وأن أجدّد نشـاطي في ظلال الواحات/ حين أرتحل في رفقة القافلة/ متجراً في الشيلان والبن والمسك/ وفي رغبتي أن أسلك كل سبيل: / من البادية (الصحراء) إلى الحضر(المدينة) ومن الحضر إلى البادية [17].

كمـا اسـتخدم جوتـه في رده على خصومـه ومنتقديه تعابير مقتبسـة مـن لغة المعارك والقتال في شـعر المعلقات وبعض الشـعراء العرب الآخرين، فأخذ يتحدث عن نفسه وهو في السـبعين مـن عمره بضمير الغائب قائلاً : «إنه يتسـلح أولاً بالكبريـاء والغضب، ولكنه

بعد أن استفزّ وحوصر يشعر بأن لديه من القوة ما يكفي لأن يخترق جبهتهم ويشق لنفسه الطريق»[18]. وهكذا تجدَّدت لدى جوته – بسبب تأثّره بتأبط شراً وشعراء العرب (البدو) المقاتلين – إرادة التحدي والرد على خصومه بحيث صار لديه العزيمة والقدرة، على الرغم من تقدمه في السن ليخترق جبهتهم ويواصل مشروعه الإنساني والأدبي الذي تبنّاه وشكّل صورة حياته ضمن إطاره وفحواه.

وقد بلغ إعجاب جوته بالشخصية العربية إلى درجة النقمة على حياة المدنية، والإشادة بما ينعم به الفارس العربي البدوي من الحرية، فيقول:

«دعوني – كما أهوى – على صهوة جواد، واقبعوا أنتم في بيوت المدر وخيام الوبَر! إنني لأنطلق جذلان في هذا الفضاء الشاسع وليس فوق عمامتي إلا النجوم الزواهر، وما زينت السماء الدنيا بمصابيح إلا هدى للناس في البر والبحر، ولتكون متعة للناظرين أبد الدهر كلما ولوا وجوههم قبلة السماء»[19].

إن الشخصية العربية عند جوته تتجسد فيها صفات الفخر بالنفس والاعتداد بالنسب، والاعتراف بأساليب حياة الآباء، والحب العارم وكرم الضيافة والنزوع إلى الحرية والفروسية والبسالة، ويضاف إلى ذلك السمات المتناقضة كالتمسك الكامل بالدين من ناحية، والروح المستنفرة التي لا تكترث بالمسالمة حتى تأخذ الثأر من ناحية أخرى، أو المبالغة وطلاقة اللسان وذرابته والفخر والحماسة من جهة والحلم والحنكة وسداد الرأي والقدرة على صياغة الحكمة بالعبارة المؤثرة والموجزة والتسليم بالقدر من جهة أخرى .

وذكر جوته أسماء وشعراء عرب [20] أُعجب بهم ووظّف أشعارهم في أدبه، أمثال: امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، ولعل شخصية المتنبي من أكثر الشخصيات العربية التي تأثر بها جوته وذكرها في شعره وأدبه؛ فقد ورد المتنبي أكثر من مرة في مسرحية فاوست (Faust)، وفي «كتاب الجنة» وفي «تعليقات وأبحاث»، وفي كتاب زليخا [21]، ولقد تأثر جوته بشخصية المتنبي وحكمه، ووقف وقوف المتأمل والمعجب بما احتواه الشعر العربي من قيم وبخاصة العزّة والكرامة والكرم والحرية والشجاعة والشرف والإباء وكراهية الظلم وإغاثة الملهوف .

الشخصيات الدينية

شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

تعرّف جوته الإسلام سنة 1772م في فرانكفورت؛ إذ إنه عكف على قراءة القرآن الكريم من ترجمة المستشرق مرجرلين Margerlin، وتابع مشواره مع القرآن من خلال قراءة ترجمة لاتينية سابقة على ترجمة مرجرلين طبعها في بادوا (إيطاليا) القس الجزويتي ماراتثي Maracei 1968م، وقد اقتبس جوته من سور متعددة، منها، سورة طه، والعنكبوت، وآل عمران، والنساء، ويوسف، ويونس[22].

لقد تنفّس جوته أجواء الفكر الإسلامي، ودبّج القصائد الأولى من « الديوان الغربي – الشرقي» في ظل هذه الأجواء، وأنجزه بأجمعه بوحي معالم الإسلام، ولم يكن للديوان أن يظهر للوجود لو لم يتخذ جوته منذ سنوات شبابه: هذا الموقف الإيجابي من الإسلام[23].

كانت الحياة الدنيا بالنسبة إلى جوته حياة بؤس وتعاسة في (وادي الأحزان)، ولقد أعجب بأجواء الشرق من روحانيات وصفاء وطهر، ولهذا استهلّ ديوانه عامة و«كتاب المغني» خاصة بقصيدة «هجرة»؛ حيث أشار جوته من خلال عنوانها إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر الرسول محمد – ﷺ– من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

ففي المقطع الأول من القصيدة يهاجر جوته إلى الشرق (الطاهر الصافي) لكي «يستروح نسيم الآباء». وتعني هذه الرحلة الروحية إلى أماكن بعيدة بداية مرحلة جديدة في حياة جوته . فها هو ذا يتغنّى بنشيد «الهجرة»:

Nord und West und SÜd zersplittern/ Throne, bersten Reiche zittern/ Fluchte du, im reinen Osten/ Patriaychenluft zu kosten/ Unter Lieben, Trinken, Singen Soll dich Chisers Quell verjÜngen [24]

وترجمتها بالعربية:

« الشمال والغرب والجنوب / أقطارها تتناثر بدداً / وعروشها وممالكها تنهار/ فهاجر وامض إلى الشرق الطهور/ واستروح الطيب من الآباء الأوائل / وبالحب والشرب والغناء/ يردَّ عليك « الخضر» القائم على عين الحياة ريعان صباك»[25].

يتحدث جوته هنا عن الشرق الذي يدمجه في شعره دون أن يكون قد رآه أبداً، إنه العودة إلى الأصول، والهروب نحو الوجه السليم لعالم مُتشظٍ. إن الشرق هنا يندمج في مخيلة جوته أكثر من أي شاعر أو فيلسوف أو مفكر، والشرق عنده يدخل في نطاق البحث عن الأصالة، أصالة الوجود [26].

وكان لـ«هردر» Herder الفيلسوف الألماني تأثير بالغ على فكر جوته؛ حيث كان أول من أرشده إلى الاطلاع على الشعر العربي والقرآن الكريم . وكان من أكبر الأدباء المنصفين للإسلام، وهو ما أوضحه من خلال كتاب «أفكار حول فلسفة تاريخ الإنسان»، وأشاد فيه بالرسول محمد ﷺ[27].

وكتب جوته «تراجيديا محمد»، وهذه المسرحية تنقسم إلى فصلين: الأول يتحدث عن بعثة الرسول ﷺ والفصل الثاني يصور معاناة الرسول في أثناء تبليغه الرسالة، وما قاساه من المشركين خلال ذلك . وقد بينت التراجيديا ثناء جوته على النبي محمد ﷺ، وقد جاءت مسرحية جوته عن النبي محمد بعد ترجمته لمسرحية «محمد» لفولتير، إلّا أنّ جوته لم يُتم كتابتها، وقد وجدت بعد وفاته مخطوطات تحتوي على مشاهد من هذه المسرحية، وصف فيها الرسول محمداً بأنه جاء بأفكار عالمية جديدة لينشر السلام والمساواة بين البشر ويهديهم إلى الخير والحق:

وهكذا يحمل إخوانه/ وأحباءه وصغاره/ إلى الخالق المنتظر/ بقلب عاصف بالسرور» [28].

ومما قاله جوته عن الإسلام في ديوانه (الغربي – الشرقي). «فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعاً»

Im Islam Leben und sterben wir alle.[29]

واختص جوته النبي محمداً بقصيدة مدح طويلة سماها «ترتيلة محمد»(Mohometsgesang)، حيث شبه الرسول محمداً بالنهر العظيم الذي يجر معه الجداول والسواقي، ثم لا يلبث أن يندفع على شكل سيل عارم في تدفقه، فيقول :

Seht den Felsenquell/ Freudenhell/ Wie ein Sternenblick/ Über Wolken/ Nährten seine Jugend/ Gute Geister / Zwischen Klippen im GebÜsch.[30]

وفي قصيدته يعترف جوته بنبوة محمد ويشبهه بماء الغمام الذي ينزل من السماء ليتكون منه ينبوع يقود الينابيع الأخرى معه، كناية عن الأنبياء الذين سبقوه نحو إحياء الأرض ونشر الإسلام فيها[31]، وفي سن السبعين كتب جوته يقول إنه كان يعتزم «أن يحتفل بمنتهى الرهبة بتلك الليلة (القدْر) التي اكتمل فيها نزول القرآن من الأعلى إلى الرسول»، وكتب أيضاً «إنّ هذا الكتاب سيبقى حقاً عظيم الأثر أبد الدهر»[32].

لقد كانت قصيدة جوته «ترنيمة محمد» تصويراً لشخصية الرسول ﷺ، وهي في جوهرها صورة منصفة وبعيدة كل البعد عن التعصب الذي انتهجه الأوروبيون في القرن الثامن عشر وعن الإساءة المقصودة في مسرحية «محمد» لـ فولتير التي كتبها سنة 1741[33].

وقد كان النبي محمدﷺ من الشخصيات المحورية التي أوردها جوته في ديوانه(الغربي الشرقي)، وكانت قصيدة «بعثة محمد» من القصائد المهمة التي كتبها جوته، ولكنه لم يستطع نشرها، وعثر عليها بعد 88 عاماً من وفاته رايندر ماريا رايكليه، وأخرجها إلى النور في عام 1907، ومنها:

«حينما كان يتأمل الملكوت / جاءه الملاك على عجل/ جاء مباشرة بصوت عال ومعه النور/ اضطرب الذي كان يعمل تاجراً/ فهو لم يقرأ من قبل – وقراءة/ كلمة تعني الكثير بالنسبة له، لكن الملاك أشار إليه/ وأمره بقراءة ما هو مكتوب/ ولم يبال وأمره ثانية: اقرأ / فقرأ لدرجة أن الملاك انحنى/ واستطاع القراءة / واستمع الأمر، وبدأ طريقه» [34].

وفي قصيدة «رجال مؤهلون» تسجيل لحدث تاريخي مهم في حياة النبي محمد ﷺ، وهو انتصار المسلمين في معركة بدر على مشركي مكة عام 623م؛ أي السنة الثانية من الهجرة من مكة إلى المدينة . وكان جوته قد قرأ الكثير في كتب السيرة التي ألفها ريهبندر (Rehbinder) وأولزنر (Oelsner) وتوربين (Turpin) عن الظروف التي أحاطت بهذه المعركة وأهميتها التاريخية. وحين يصف جوته النبي محمداً وهو يقود جيش المسلمين في معركة بدر، لا يخامر المرء الشك في أنّ ما يقوله جوته من شعر هو لشاعر مسلم عاصر الرسول، وشهد معه المعركة، فيقول جوته: «**بعد معركة بدر / تحت السماء المرصعة**

بالنجـوم/ محمـد يتكلم/ ليندب الأعـداء قتلاهم، فإنهم من الهالكين/ أمّا الشـهداء من إخواننا فلا تندبوهم/ فإنهم أحياء في أعلى عليين / لقد فتحت السـموات السـبع أبوابها لهم أجمعين/ وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة/ يدخلونها بسلام آمنين»[35]

ويبـدو هنا واضحـاً تأثر جوته بالقرآن تأثـراً كبيراً، وتأتي خاتمـة القصيدة متناصة مع القرآن بمسـتوى الامتصاص والتشرّب للمعنى القرآني بطريقة خلّابة وجذّابة، فيقول جوته مخاطباً الشهيد المجاهد :

« فانعـم بهـذا الصفو الـذي لا كفاء له ولا عوض عنه/ بين أسـراب مـن الحور العين لا يضجـر مُعاشـرها، وأكواب مـن الرحيق المختوم لا يسـكر معاقرها. نعـم الصفو المقيم/ ونعمت جنة النعيم»[36].

وفـي قصيدة «طابـت ليلتكم» التي يوّدع بهـا جوته قومه ومعاصريـه ويعلن اعتزاله، يُعبر عن صورة الإنسـان الذي ارتفعت عنده المبادئ والمعتقدات التي آمن بها فوق كل المتع والشـهوات الدنيوية. كما تُعّبر القصيدة عن ثقة جوته بأنه كأهل الكهف[37] سـيفوز برحمة الله، فيدخل الجنة وينال نعيمها، فيقول :

«نامي الآن، أيتها القصائد العزيزة/ على صدر شـعبي/ ولينشـر جبريل بفضله/ سحابة مسـك/ فوق الجسـد المكدود/ حتى يمضي الشـاعر وهو مُعافى / ... فيشـق الصخر/ يجوب سعيداً / مع أبطال كل العصور جنات الخلد الواسعة/ حيث الجمال المتجدد على الدوام»[38].

ويُعبّـر جوته هنا عن أمنيته بأن «يجوب سـعيداً مع أبطـال كل العصور، جنات الخلد الواسـعة «ولعله يقصد بأبطال كل العصور» الأنبياء والعظماء، ولهذا يُمني نفسـه أن يحظى بالتحدث مع النبي محمد ﷺ في الجنة[39].

ويؤمـن جوته بأن الدين الإسـلامي بقيادة النبي محمد، وعَبْر نشـر أهم التعاليم التي تقوم عليها رسـالته – وهو التوحيد – حقق غايته الأساسـية بالمحبة والإيمان في سائر أنحاء المعمـورة، فيقـول : **«وهكذا فإن الحق / هو ما نادى به محمـد/ فبفكرة الله الواحد الأحد / ساد الدنيا بأسرها»**[40].

وعلـى خـلاف الكتّـاب الأوروبيـين الذيـن قرؤوا سـيرة النبـي محمد نجـد جوته لا يسـتغرب أمّيـة محمد ولا يُشـكك فيهـا، وأكد أسـبقية الكلمة الشـفاهية على الكلمة

المكتوبـة، وقـد عبّر عن يقينه هـذا إذ قال في مُسـتهل «الديوان الغربي الشـرقي»؛ أي في قصيدة «هجرة»:

"Will mich freuen der Jugndschranke/Glaube weit, eng der Gedanke/ Wie das Wort so wichtig dort war/ Weil es ein gesprochen Wort war" [41].

وترجمتهـا : «أودّ أن أتعلـم كيـف كانت الكلمة هناك ذات شـأن كبير/ لا لشـيء إلّا لأنها كلمة فاهت بها الشفاه».

وبيّن جوته أنّ شخصية النبي محمد لم تقم وزناً للمعجزات وتحقيق الخوارق. فهو يرى أن النبي محمداً قد استنكر الأساطير ونهى عن كل أنواع تأليه البشر، فيقول جوته : «لست قادراً على تحقيق المعجزات، هكذا قال النبي : إن أعظم معجزة هي أني موجود»[42].

وكان جوته في أيام شبابه كثير النقاش والجدل مع أصدقاء تلك الفترة من حياته حول مسألة الاعتراف بأنبياء غير المسيح (عليه السلام)، فكان جوته يصدّق ما جاء به القرآن « وما أرسـلنا من رسـول إلاّ بلسان قومه»، ويعترف بنبوة محمد وينبه أصدقاءه من خلال التذكير بالنبي محمد إلى أنّ التاريخ قد عرف أنبياء عظاماً خارج فضاء المسيحية[43].

ويتحدث جوته عن الفرق بين النبي والشاعر، ويؤكد نبوّة محمد ﷺ فيقول : «**إنه نبي وليس بشاعر، ولذلك يجب أن يُعتبر (قرآنه) قانوناً إلهياً وليس كتاباً بشرياً وضع للتعليم أو التسلية**»[44].وكان جوته يصف النبي محمداً بأنه زعيم الخلائق[45].

ورأى جوتـه أن النبـي محمـداً نبي مرسـل لغرض مُقدّر ومرسـوم لإعلان الشـريعة وجمع الأمم حولها لينضموا تحت لوائها، والكتاب أُرسل للناس بقصد الإيمان[46].

ويشـيد جوته بزوجة النبي محمـد خديجة وابنته فاطمة الزهراء فـي قصيدته المعنونة بـ«**نسـاء مصطفيـات**»[47]. وقد ذكر جوتـه معهما زليخا ومريم، فيقـول عن خديجة، رضي الله عنها :

« وزوجـة محمـد التـي أفاضت عليـه الحنـان/ وأعانته علـى تحقيـق أروع الأمجاد/ وأوصت في حياتها بألاّ يكون/ إلاّ ربٌّ واحد وزوجة واحدة»[48].

ويصـف جوته فاطمة الزهراء ابنة الرسـول، ويسـبغ عليها صفات سـامية تسـتحقها وتدل على تقديره واحترامه لمنزلتها، فيقول:

«الابنة الطاهرة والزوجة المصون/ ذات الروح النقية كملائكة السماء/ في جسم من عسلٍ ذهبي مكنون»[49].

ويختتم جوته قصيدته بالإشادة والتقدير لكل من يرفع من شأن النساء، ويرى أن من يفعل ذلك يستحق أن يطوف مع النساء المصطفيات في الجنان الخالدة .

وأقرّ جوته في قصيدة «رجال مؤهلون» بعظمة الصحابة (رضي الله عنهم) وأنهم أهل لأعلى عليين. وفي قصيدة «نشيد محمد» يمدح جوته الرسول ويصفه بالنهر الذي يتسع وتتعاظم قوته الروحية في زحفها الظافر الرائع لتصب أخيراً في البحر المحيط، رمز الألوهية . وجاءت القصيدة على شكل حوار بين فاطمة وعلي :

علي : انظروا إلى السيل العارم القوي، قد انحدر من الجبل الشامخ العلي، أبلج متألقاً كأنه الكوكب الدريّ.

فاطمة : لقد أرضعته من وراء السحاب ملائكة الخير في مهده بين الصخور والأدغال.

علي : إنه ينهمر من السحاب، مندفعاً في عنفوان الشباب، ولايزال في انحداره على جلاميد الصخر، يتنزّى فائراً، متوثباً نحو السماء، مهللاً تهليل الفرح.

فاطمة : جارفاً في طريقه الحصى المجزّع، والغثاء الأحوى .

وينتهي الحوار عند بلوغ البحر العظيم، علي وفاطمة في صوت واحد: «**خذنا معك**»، «**خذنا معك**»[50].

وفي تراجيديا محمد التي شرع جوته في كتابتها منذ عام 1773م، إذ نظم منها ذلك العام فاتحة الفصل الأول «مناجاة محمد» وهو فتى، وقد خلا بنفسه بالليل بعيداً في البادية، والسماء صافية سافرة النجوم. واعتمد جوته في المناجاة على مضمون آيات من سورة الأنعام في دحض الشرك ؛ «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ..»، وختم الشاعر مناجاة النبي بقوله:

« فارتفع أيها القلب العامر بالحب نحو الخالق، إنك وحدك مولاي يا ربّ !/ إنك الحب المحيط بكل شيء/ خالق الشمس والقمر والكواكب/ خالق السماء والأرض، وخالق نفسي»[51].

وبعـد هـذه المناجاة يجري جوتـه حواراً بين محمـد ومرضعته حليمـة، وبعد أن كان محمد يظلّ وحيداً بعيداً في البادية، يقول جوته:

محمد : لستُ وحدي، إنّ الله ربي ويؤنس وحدتي.

حليمة : أرأيته؟

محمد : ألا ترينه ؟ عند كل جارية، وتحت كل شجرة مزهرة، أراه بعين البصيرة مقبلاً علـي، وأحس حـرارة عطفه وحبه، مـا أعظم عرفاني لفضله وتسـبيحي بحمـده ! لقد فتح صدري، وانتزع عنه الشغاف حتى أحس قربه في الصميم من قلبي ... إلخ[52].

لقد كانت صلة جوته الروحية بالإسلام هي حصيلة الميل الشخصي والنزعة الوجدانية التي كانت تدفعه لتقدير الرسول ﷺ، والإعجاب بالإسلام، والقناعة التامة بصدقية ما يقرؤه (جوته) . ولهذا كانت آراؤه ومواقفه تجاه الرسـول محمد والإسـلام فـي ألمانيا آنذاك تحمل فـي ثناياها كل ألوان التحدي والقوة والجرأة، والاعتـراف بالآخر واحترامه مقابل المواقف والآراء المضادة لآرائه ومواقفه.

الشخصية الفارسية

في ربيع عام 1824 قرأ جوته ترجمة المستشرق النمساوي جوزيف فون هامربورغشتال Josef Van Hammer Purgstall لديـوان الشـاعر الفارسـي الشـيرازي، وانبثق من لقاء جوتـه الثانـي بماريانـه (Marianne Jung) وحافظ الشـيرازي «الديوان الغربي الشـرقي» (West östlicher Diwan) الذي صدر عام 1819، ويأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد «فاوسـت» من بين مؤلفات جوته كلها، وفي عام 1827 نشـر جوته الصيغة النهائية الكاملة للديوان. وقسّمه على خطا حافظ الشيرازي إلى أبواب بموضوعات مختلفة وعدد أبوابه اثنا عشـر باباً، هي على الترتيب :كتاب المُغني، وكتاب حافظ، وكتاب العشق، وكتاب التفكير، وكتاب السـخط، وكتاب الحكمـة، وكتاب تيمور، وكتاب زليخا، وكتاب السـاقي، وكتاب المثل، وكتاب الفرس، وكتاب الخُلد.

وعبّر جوته في ديوانه هذا بأسلوب الشعر الشرقي عن حبّه لماريانه، وبهذا يمكن القول إن ديوان جوته الغربي الشـرقي قد نشـأ تحت تأثير عربي إسـلامي عَبْر أشـعار العرب التي قرأها، وأشـعار حافظ الشـيرازي التي قـال عنها جوته في مذكراته عـام 1815: «لقد أثّرت

مجموعة من أشعاره (حافظ الشيرازي) فيّ تأثيراً عميقاً قوياً، حملتني على أن أنتج وأفيض بما أحس وأشعر؛ لأني لم أكن قادراً على مقاومة هذا التأثير القوي على نحو آخر، لقد كان التأثير حياً وقوياً» [53].

وهـذا يُظهر مدى إعجاب جوته بحافظ الشـيرازي؛ إذ اعتبره مميـزاً؛ لأنه أقام تفكيره على أساس متين من القرآن الكريم. و«حافظ» لقب صار بمنزلة اسم الشاعر، وهو يعبر عن التشريف الذي يحوزه أولئك الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب.

واستلهم جوته من اقتران اسم حافظ بالقرآن الكريم قصيدته المسمّاة (لقب)، فأبياتها التي يسـتهل بها «كتاب حافظ» اسـتهلالاً لافتاً للنظر، يُشـيد بتديّن حافظ وتقواه، وفي هذه القصيـدة يتحاور الشـاعران، ويسـأل جوته حافظاً وكأنّ الغرض من سـؤاله هو أن يشـرح للمتلقي الأوروبي المعنى الديني لهذا اللقب، فيقول جوته :

قل لي يا محمد شمس الدين/ لم سمّاك شعبك المجيد حافظ؟/ حافظ: أجيبك تحية التعظيـم، فأقول:/ لأنـي دائم الذكر للإرث المبارك العظيم/ وبتقواي وورعي أحمي نفسـي وأصون/ من عوادي الدهر الغشوم/ كنز كريم، لهذا سمّوني حافظ الذكر الحكيم» [54].

إن جواب حافظ يثير في نفس جوته مشـاعر المتعة والإحسـاس بوجود وشائج المودّة والقربـى بينهمـا. وكما اسـتند حافظ إلى القرآن الكريم، اسـتند جوته إلـى العهدين القديم والجديد، فيخاطب جوته حافظ الشيرازي بقوله:

«أراني حرّياً بمشـاركتك في لقبك/ فأنا شـبيهك حق الشـبه/ أنا الذي قبسـتُ نفس الصورة البديعة / من كتبنا المقدسة» [55].

وتعمق جوته في دراسـة الصوفية من خلال اطلاعه على الشـعر الفارسي، ونهل من مناهلها من شـعراء الفرس الذين كثيراً ما كانوا يصطنعون القصص لبيان طريقتهم وتصوير أحاسيسـهم المرهفـة وبلـورة مفاهيمهم الدقيقة . ومـن هؤلاء : أبو عبد اللـه الأنصاري في قصته المنشورة عن «يوسف وزليخا»، وفريد الدين العطار، صاحب المثنوية الصوفية «منطق الطيـر»، و«تذكرة الأولياء»، وقصة «جل وهرمز » وجلال الدين رومي الذي تلقى الصوفية على الشيخ الدرويش شمس التبريزي، والشاعر والناثر عبد الرحمن الجامي الذي اتخذ من قصة «ليلى والمجنون» ترجمة لآرائه في التصوف في كثير من المواقف [56].

ولكـن جوته وجد نفسـه في حافظ الشـيرازي المتوفى سـنة (791هـ/ 1389م).فهو شـاعر الغـزل الأكبر الـذي جمع في غزله الحسـية والروحية. فقد حصل جوتـه – كما ذُكر سـابقاً– عام 1814 على ديوان الشـاعر حافظ الشيرازي محمد شمس الدين، الذي كان قد ترجمه بأكمله إلى الألمانية البارون فون هامر بورغشـتال، حتى رأى جوته نفسه متبلورة في مرآته وآنس فيه قواسم مشتركة من طبيعته وملكاته وحياته.

وقد مرّ جوته بحياة صعبة بسـبب الحروب ونشـوب الثورة الفرنسية، وعلى الرغم مما جلبتـه الثورة من حقوق للإنسـان، فإنه رافقها عنف أدّى إلـى كراهية جوته لها في عنفها لا في أشخاصها، وعند احتلال بروسيا لإمارة «ويمار» عاشت أياماً كئيبة، فازداد اعتزال جوته لما حوله. وفي هذا الوقت تنفتح لجوته أبواب الشـرق من خلال ديوان حافظ الشـيرازي، بما فـي ذلك الشـرق من أوضاع للشـعر والاجتماع والأخلاق والدين علـى خلاف ما كان في الغرب في عهده[57].

وكانت أشـعار حافظ الشيرازي تكشـف لجوته عن حياة تمت إلى حياته بأقرب وشائج القربـى، فكلاهما يقف وجهاً لوجـه أمام طاغية: حافظ أمام تيمورلنك، وجوته أمام نابليون. لقد أخذ جوته بهذه المشابهة، ورأى أنّ في ذلك يتصل العالَمان الشرق والغرب، باتصال نَفْسَين كبيرتين من الجانبين. وهذا هو جوته يحس في لقائه حافظاً بالشرق والغرب يلتقيان في نفسه، وتضمهما دفتا كتاب واحد يخرجه للناس: «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» [58].

ومما يدعو إلى الدهشة أن يرشد جوته الشاعر الفارسي الفردوسي إلى ما هو إسلامي، وذلك في قصيدته التي يقول فيها الفردوسي:

«أيهـا العالـم قُبِّحـت، ومـا أفظـع شـرَّك!/ أنـت تغـذو وتربـي، وفـي الوقت نفسـه تهلك!»[59].

ويدحض جوته ادّعاء الفردوسي هذا مُحتجّاً بالعناية الإلهية، وبما يتفق مع روح العقيدة الإسلامية، إذ يقول: **«إنّ مَنْ يرضى اللهُ عنه / يغذو نفسه ويربيها ويحيا في ثراء»**[60].

وقد بيّن جوته أثر حافظ الشيرازي في نفسه، إذ اتّخذ منه مثلاً أعلى، وخاصة بعد أن قـرأ ديوانه الذي قام بترجمتـه إلى الألمانية فون هامر. وقد خصّ جوته (حافظ الشـيرازي) بكتاب من «الديوان الغربي الشرقي» حمَل عنوان «حافظ» يقول فيه:

أي حافظ ! إنّ أغانيك لتبعث السلوى
إبّان المسير في الشعاب الصاعدة والهابطة
حين يُغني حادي القوم ساحر الغناء
وهو على ظهر دابته
فيوقظ بغنائه النجوم في أعلى السماء
ويوقع الرعب في نفوس الأشقياء (61)

ويكثر ترداد اسم حافظ في أشعار جوته، فيقول مادحاً حافظاً: «**فلتكن الكلمة هي العروس/ ولتكن الروح هي العُرس/ مَنْ يُنشد في مدح حافظ/ فقد شهد هذا العُرس**»(62).

ولقد أثّر حافظ الشيرازي في جوته نفسياً ومعنوياً وفكراً وشعراً، فيقول جوته: «**إنّ أغانيك (أشعارك) لتبعث السلوى../ وإنه ليحلو لي/ أي حافظي الأقدس/ أن أحيّي ذكراك عند الينابيع/ وفي حانات الصهباء**»(63).

ويدافع جوته عن حافظ وطريقة حياته وشعره، فيقول: «**وليعمل الذين ينفون على حافظ جمال حياته وحلاوة شعره، والذين تطوّع لهم نفوسهم التعريض بهتاناً بكفره، إنّ كلمات الشاعر لا تبرح حائمة حول جنة الخلد، طارقة في لطف أبوابها تطلب الخلود**»(64).

وكان جوته يتخذ من أشعار حافظ الشيرازي بلسماً لجراح قلبه المتيّم، مما كان يعانيه من حب مريانه (زليخا)، فيشتاق إلى جمال الشرق ولذائذه، فيقول:

«**وسيّان أنجدتُ أو أتهمتُ، فإنّ أغانيك يا حافظ تؤنسني في وعثاء السفر، إذْ يترنّم المرشد بها على ظهر برذونه مأخوذاً طرباً، وكأنما يوقظ بها النجوم الوسنى، ويرهب قطاع الطريق... هناك في الشرق في ردهات حماماته وبين جدران حانه، أريد أن أذكرك يا مولانا حافظ وقد رفعت حبيبتي خمارها، وتضوّع الطيب من غدائرها المهدلة المُضمّخة بالعنبر**»(65).

ومن شدة تأثر جوته بحافظ الشيرازي أنه أصبح يقال عن جوته وحافظ «التوأم». فقد قال فريدرش روكر (Rückert) وصفاً ينمّ عن الحكمة وسداد الرأي، وذلك حين

يصف تعبيراته الحسية بأنها في الحقيقة متعالية على كل ما هو حسي، فروكرت يشبّه جوته بحافظ:

«إنه حافظ، فهو حينما يتحدث عمّا هو غير حسي، فإنما يتحدث عما هو حسي، أم أنه حينما يبدو كأنه يتحدث عن الحسي، لا يتحدث إلا عمّا يسمو على الحس، إنّ سرّه لا يفوق الحس، لأنّ حسيته فوق كل محسوس»[66].

فجوته مثل حافظ يجمع ما بين الحسية والروحية، ويجمع بين جوته وحافظ تشابه آخر هو أن تدينهما لم يؤدّ بهما إلى اتخاذ موقف متجهّم من الحياة والغبطة، ويتلاءم مع ما كان ينتابهما من نوبات التشكيل والطيش فجعلهما هدفاً لهجوم المتشددين المتزمتين الذين ينفون عنهما صدق الإيمان. فقد قال ريمر (Riemer) عالم اللغات القديمة وصديق جوته: «إنّ في ديوان جوته حُبّاً ذا طبيعة «شرقية صوفية»، فهو حب لله الذي هو الحق والخير والجمال بأكمل المعاني، وحب الطبيعة المتجلّية فيها جلّ شأنه»[67].

وهكذا كانت الشخصية الفارسية المتمثلة في الشعراء وبخاصة الشاعر حافظ الشيرازي في أدب جوته إذ وجد (جوته) في أشعاره صورة لحياته هو، حياة نفس تتقبل الوجود بمنتهى الحرية والمتعة وتناجي السماء دون أن تقطع ما بينها وبين الأرض، وتواجه التعصب والجمود بالتصوف الحي والحيوي، كما تقابل الآخر بالاعتراف والاحترام، نفس تعشق الحرية والحياة وتجمع ما بين الحس والروح، نفس لم تشتغل كثيراً بأحداث العصر وتقلباته، إذن، وجد جوته نفسه تتصل بنفس حافظ وكأنه يحس باستكمال نصفه الثاني، يحس بالشرق والغرب يلتقيان فيه، وتضمهما دفتا كتاب واحد يخرجه للناس هو « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي».

شخصيات عامة

1 - شهرزاد

كان جوته مولعاً بالشرق منذ صغره، إذ كانت جدته تقص عليه حكايات ألف ليلة وليلة قبل أن ينام في الليل . وفي عام 1765 سافر إلى لايبتزج للدراسة، ووجد هناك ترجمة ألمانية لألف ليلة وليلة . وانكبّ على قراءتها، وقد حفزته هذه الحكايات والقصص على

الاطلاع على الشعر الجاهلي وبخاصة شعر المعلقات فيما بعد، وانعكس تأثير ألف ليلة وليلة على جوته في روايته العاطفية «آلام ڤيرتر» (Die Leiden des Jungen, Werther). وجاء في الرسالة المؤرخة في 26 تموز في رواية ڤيرتر ما يلي: «كانت جدتي تحدّثني عن الجبل الممغنط وكيف تتفكك السفن التي يشتد دنوّها منه ويتطاير حديدها فيسقط ملاحوها في البحر بين الألواح المتداعية»[68].

وكان جوته طيلة حياته شديد الشغف بأحاديث شهرزاد، إذ تعرف عليها من خلال والدته وجدته في أيام الطفولة المبكرة على بعض حكايات ألف ليلة وليلة التي ظلت راسخة في ذاكرته، وحتى في أواخر عمره لم ينضب شوقه إلى هذا الكتاب الأدبي الذي يُعد من أمهات الكتب في الأدب الشعبي والعالمي [69].

وغالباً ما كان جوته يقارن نفسه، بوصفه شاعراً وروائياً، بشهرزاد وكان يقوم بهذا بوعي تام وبشكل مستمر. وتفسر لنا هذه المقارنة ولع جوته بالتداخل في سرد القصص وتوظيفه في بعض أعماله الأدبية. ويبدو ذلك في روايته «سنوات تجوال فلهلم مايستر»، التي أهمل فيها البناء الشكلي وقدمها على شكل باقات من الزهور المتداخلة والمتشابكة على حد تعبير كاترينا مومزن، واعترف جوته نفسه بأثر حكايات ألف ليلة وليلة على روايته «سنوات التجوال» (Wanderjahre)، وبيّن أنه كان ينهج نهج شهرزاد في طريقته الحكائية في روايته «سنوات التجوال»، ووصف طريقته السردية بأنها تقوم «على طريقة السلطانة شهرزاد»[70].

واستدعى جوته شهرزاد في كثير من أشعاره، وعبر على لسانها عن بواعث ودوافع معينة، وألبسها أدواراً وأفعالاً مختلفة، وبعبارة أخرى شحنها بأبعاد ذاتية وجمعية، وساعدت قصص شهرزاد جوته على أن يتجاوز المراحل الصعبة من مرض وكآبة مر بها في شيخوخته، فكانت خير مؤنس وجليس له، واتخذ منها في بعض الأحيان شكل القناع والمعادل الموضوعي. ويثني جوته في مسرحيته «فاوست الثاني» على ألف ليلة وليلة بالاسم . ويشيد بشهرزاد وذلك على لسان القيصر وهو يثني على مفيستوفيلس (Mephistopheles)، وهو المسؤول عن إمتاع القيصر وتسليته، فيقول : «**أي حظ طيب هذا الذي قادك إلى هنا/ مباشرة من ألف ليلة وليلة؟/ لو استطعت أن تتشبّه بشهرزاد في**

خصوبة عطاياها/ لوعدتك وعداً صادقاً بأسمى الهدايا/ تأهب على الدوام (لتسليتي)/ فما أكثر ما تبتليني أيامُ دنياكم/ بأعظم الكروب والمنغّصات»[71].

إنّ جوته هنا يعترف بأستاذية شهرزاد؛ إذْ كان يرى في شهرزاد معلماً أو شبيهاً له في خصوبة عطاياها وقوة شخصيتها . وقد كتب جوته موضوعاً طريفاً عن الليلة الثانية بعد الألف، روى فيه أنّ شهرزاد زارته، ورجت إليه أن يكتب عنها قصة جديدة؛ لأنّ الملك شهريار لم يعفُ عنها بعد[72].

لقد أعجب جوته بشهرزاد لدرجة أنّه أخذ يمتح من ينبوع شخصيتها وأسلوب سردها القصصي ويصب ذلك كله في كتاباته وأشعاره، إذْ غدا المرء يتحدث عن «السجية الشهرزادية، في أدب جوته، وهو ما يدل على موهبة جوته[73]. وتمكّنه من ابتكار الأقاصيص والروايات وتطويرها على طريقة شهرزاد بلباقتها وذكائها وكياستها.

2 - زليخا

إن كتاب «زليخا» وهو الباب الثامن من ديوان جوته «الديوان الغربي الشرقي»، يُمثل حوارية شعرية بين حبيبين، هما «حاتم» و «زليخا»؛ أي بين جوته ومريانه . لقد أحب جوته ماريانه فيلمر (Marianne Willemer) وعمره ست وستون سنة وافترق عنها عام 1815، وكتب قصيدة بهذه المناسبة بعنوان «دعوني أبكِ، محاطاً بالليل»، ولكنها لم يضمها ديوانه، ونُشرت بعد وفاته . واتخذ جوته اسم «زليخا» معادلاً موضوعياً أو قناعاً لماريانه، كما اتخذ له اسم «حاتم»، ولعله يريد أن يربط بين الكرم الشديد في الضيافة والحب العارم في العشق. ومما يجب ذكره أن جوته هام بمريانه حباً وألهمته أجمل قصائد الحب في الشعر الألماني . وزليخا هي زوجة فرعون مصر التي هامت غراماً بالنبي يوسف، عليه السلام.

لقد كانت ماريانه زوجة يوهان ياكوب فيلمر صديق جوته، وتعرّف جوته على ماريانه في عام 1814 في دار زوجها فأحبها وبادلته الحب. وحاولا إخفاء هذا الحب إلاّ أنه ذاع خبره بين الناس. وقد خلد جوته ذكرى ماريانه في قصائد كثيرة ضمنها كتاب «زليخا» في الديوان «الغربي – الشرقي» مستعيراً لها اسم «زليخا» . وتوفيت ماريانه في السادس من ديسمبر عام 1860 في فرانكفورت[74].

ويقارن جوته بين حبه وحب زليخا ليوسف عليه السلام، كما وردت قصة هذا الحب في القرآن الكريم . وفي كامل الديوان يدعو ماريانه بـ (زليخا) وتدعوه هي (حاتم) . وهذا منبثـق مـن كرم الحب، والحـب الصوفي الذي يمثل اتحـاد المحب بالمحبوب وفنـاءه فيه، فهو «بـذل ونماء وعطاء» من جانب المحب إلى المحبـوب، المحب كريم روحياً بمعنى فناء المحب في المحبوب واتحاده به تمام الاتحاد[75]، فيقول جوته:

«العاشق لا يضل/ مهما أظلمت الدنيا من حوله/ لو بعثت ليلى والمجنون/ لعرفا منا طريق الحب»[76].

وكمـا ذكرنا سـابقاً لأن جوتـه نظم قصيدة مشـابهة لمعلقة امرئ القيـس عندما افترق عـن مريانه عام 1815، وسـماها «دعوني أبـكِ» وبنى هذه القصيدة علـى البكاء على فراق المحبوبـة، وقـد ورد في كتـاب «زليخا» قصائـد متعددة تتنـاول موضوع البـكاء على فراق الأحبة، منها : مقطع من قصيدة «هجرة» وقصيدة «صورة سامية» وقصيدة «خاتمة» وقصيدة «أن أتآلف مع نظرتك»[77].

وقد ترجم جوته معلقة امرئ القيس عام 1783 وموضوعها النسيب أو كما يسميه جوته وجد العشـق أو لوعة الحب (Liebens Trauer)، وهناك تشـابه كبير بين قصيدتي جوتـه وامرئ القيـس من حيث المطلع «قفـا نبك» و«دعوني أبكِ» وفي صيغة الشـكوى ووروده‌ـا فـي المطلع وتحديد المـكان، كما يوجد توافق في الموقف؛ فنـرى جوته يعبّر عن لوعتـه وحزنه على فراق زليخـا (ماريانه)، وليبرر جوته وجده وبـكاءه على فراق زليخا (ماريانه) اسـتدعى شـخصيات تاريخية ووظفها توظيفاً فنياً، مثل آخيل بطل الأسـطورة اليونانية التي تحكي حرب طروادة، الذي بكى حبيبته بريسايس، وبكى الإسكندر جيشه، وسـيروس أو قورش[78] . وبين جوته أن البكاء ليس عـاراً، ولا عيباً، فالرجال البكاؤون طيبون، فيقول:

دعوني أبك، فليس في هذا عار

فالرجـال الذيـن يبكـون أخيار

(Lasst mich weinen,das ist Keine Schande/ Weinende Maenner sind gut).[79]

ومـدح جوتـه زليخـا (ماريانـه) بقصيـدة عنوانهـا «أسـماء الحبيبـة» (Beinamein Allgeliebten) أو «الحاضـرة» (Allgegen waertige). عنـوان «الحاضـرة» يؤكـد حضور

«زليخـا»، فـي ذهنه على الدوام، وهـذه القصيدة تتوّج خاتمة «كتاب زليخـا»، فيقول مادحاً إياها بطريقة تمزج ما بين الحسية والصوفية الروحانية :

«في إمكانكِ أن تتخفّى في ألف شـكل/ لكن أيتها الحبيبة، سأعرفك على الفور/ قد تخفـين محيّاك وراء الأقنعة السـاحرة/ لكني أيتها الحاضرة في كل شـيء، سـأعرفك على الفور»[80].

ويصـف جوتـه «زليخـا» بصفـات: «الممشـوقة القوام»و«الفاتنـة» و«المتغيـرة دائماً» و«المحتضة للأشـياء» و«الشـارحة للقلوب» و«نبع العلم»، فيقول: **«يـا واهبة النور، أُحييكِ على الفور/ وإذا الفلك ترامت قبّته فوقي/ أتنفَّسك أنت يا شارحة القلوب، إنّ كنتُ عرفتُ بحسي شيئاً أو باللُّبّ / يا نبع العلم، فعلمي منكِ»**[81].

وقـد أدرج جوتـه «زليخـا» ضمـن النسـاء المصطفيات في قصيدتـه المعنونة بـ«نسـاء مصطفيات»، وهن «مريم وخديجة زوجة النبي وفاطمة الزهراء وزليخا، فيقول:

أمّا الأولى فهي زليخا، شمس الأرض/ التي هامت بيوسف وبرح بها الغرام/ والآن، وهي بهجة الفردوس/ تسطع زينة للزهد والعفاف»[82].

هكذا ظهرت زليخا في شـعر جوته وأدبه معادلاً موضوعياً لماريانه التي شـغفته حباً، وشـطح في وصفها شـطحات رومانسـية مثالية ونعتهـا بصفات معنوية مشـحونة بنفحات صوفيـة، كل ذلك ليبوح بما يدور في داخله من لواعج الحب ولوعاته، مشـكلاً منها إنسـانة فاتنة وشارحة للقلب وملهمة للشعر ومجسّدة للطبيعة في جمالها الساحر.

شخصيات عامة كنماذج إنسانية عالمية

وهنـاك شـخصيات اسـتدعاها جوته لتكون معـادلات موضوعية أو مماثـلات بنيوية لنمـاذج بشـرية أراد جوته أن يبـرز ملامحها وصفاتها. فقد اتخذ جوته من شـخصية تيمور لنـك فـي الديوان الغربي –الشـرقي معادلاً موضوعياً لشـخصية نابليـون، فكما كان حافظ الشـيرازي يقف وجهاً لوجه أمام طاغية هو تيمورلنك كان جوته يقف أيضاً أمام طاغية هو نابليـون، فلا تنخذل عبقريـة الأدب في وجه عبقرية الحرب، إن جوتـه مأخوذ بهذه المقاربة ويهتز لها من أعماق نفسه[83].

وفـي مقطوعـة «قارورة العطـر» يقارن جوته الجهد الـذي يبذله العطّار لاسـتقطار ملء قـارورة صغيرة ليهديها المُحب إلى محبوبته بالأنفـس التي أهلكت لبناء عظمة تيمور، فيقول: **«لا يتحبب إليك المحب بالعطر العبق/ ويزيد في انشراحك وبهجتك/ يُهلك العطار على النار العدد العديد من أكمام الورد.../ وكم هلكت أنفس لا عداد لها في سبيل عظمة تيمور»**[84].

وكان لطمـوح جوتـه في إيجاد مادة قومية فـي الأدب الوطني له ما يبرّره في المجتمع الإقطاعـي المسـتبد، ولهذا اهتمّ جوته بحياة «كوتس» وتاريخـه، وهو أول فارس ألماني كان يتحلـى بالشـجاعة والأخـلاق النبيلة والانتماء الشـديد للوطـن الألمانـي[85]، فكتب جوته مسرحية عام 1773، صوّر فيها الانتفاضة الشعبية ضد تعسّف الإقطاعيين وجورهم، لتكون علامة سيميائية لظلم الإقطاعيين وجشعهم أينما كانوا[86].

ومن الشخصيات التي انتشرت انتشار النار في الهشيم شخصية فاوست(Faust) التـي أفرزهـا عصر النهضـة Renaissance في القرن الخامس عشـر، واسـمه الحقيقي هو «هلمشتتر»، وقد وُلد عام 1480 في جنوب غرب ألمانيا وكان يتجول في المدن الألمانية، وكان بارعاً في معالجة المرضى وإعطاء الدواء وكتابة الوصفات الطبية، كما كانَ ملماً بأمور الفلك وممتلكاً لقوة خارقة في معالجة الناس والتأثير عليهم من الناحية النفسية، وقد أدّى ذلك إلى نفيـه من مدينة نورنبيرغ واتهامه بالخداع والدجل والشـعوذة . ولكن السـبب الحقيقي لهذه الحملة هذه هو أن الإقطاعيين كانوا يخشون أن يزداد وعي الناس وتتفتح أذهانهم وعقولهم على الأمور العلمية التي تنسف بدورها معتقدات رجال الكنيسة وغيبياتهم ودجلهم؛ حيث كانت المعرفة والعلوم لا تصدر إلّا عن الكنيسة فقط [87].

لهـذا كانت مسـرحية «فاوسـت» التي ألفها جوته تجسـيداً لتضليل الشـيطان وتأكيداً لإرادة الإنسـان فـي تقريـر مصيره بنفسـه كما أنهـا صراع بين العلـم والدجل . كما جسّـد جوتـه بعض الصـور الواقعية لصيرورة الوعـي الاجتماعي والذاتي، وطموح إنسـان ذلك العصر لتحقيق تطلعاته وطموحاته في الحياة، وكسر جميع القيود التي تعوق تحقيق المعرفة، وتحاصـر طوق الوصـول إلى الحقيقـة، إلّا أنه لم ينجح فـي تحقيقها عندمـا يصطدم بعوائق المجتمـع البورجوازي. وفي غمـرة هذا الصعود والهبوط من التطور وإدراك الإنسـان الحر للمستحيل يكمن الواقع المأساوي لمسرحية فاوست[88].

وتأتي شـخصية «أكمونـت» في مسـرحية، «أكمونت»، وهـي المسـرحية الثالثة التي أنجزهـا جوتـه فـي إيطاليـا . وأكمونت شـخصية مكافحة مـن أجل حرية شـعب الأراضي المنخفضة (هولندا) وهي تجسّد البطولة والتضحية ضد الرجعية والاستبداد الإقطاعي [89].

وتأتي شـخصية «ڤيرتر» في رواية «آلام ڤيرتر»، لتجسـد معاني الحب المقدس العميق والثوري الذي يعد نمطاً عالمياً من أنماط الحياة الإنسانية، وهو حب شامل لحب العالم والطبيعة والكون والناس، وإن كان حبّه للمرأة يحتل المرتبة الأولى دون أي اعتبار للتقاليد المتعارف عليها. وقد عانى ڤيرتر من عوائق المجتمع الألماني البرجوازي والبيئة الأرسـتقراطية، وهذا ما وقف حائلاً أمام ازدهار الشخصية وعاق تقدمها، بل أدّى إلى نهاية مأساوّية مفجعة وهو الانتحار [90].

ويسـتدعي جوته شخصية أسـطورية عالمية ثائرة، وهي شـخصية بروميثيوس التي كانـت عنوان قصيدته . والقصيدة جزء من نص مسـرحي لم يكتمل. وهي حوار دار بين بروميثيـوس «سـارق النار» وزيوس كبير الآلهـة عند اليونان وهو جوبتـر عند الرومان . والقصة باختصار أنّ بروميثيوس سـرق نار الآلهة وأهداها إلى الإنسـان (ولعل النار هنا العقل أو المعرفة) ممّا أثار غضب الإله زيوس، وتمت معاقبة بروميثيوس بربطه بالسلاسل علـى صخـرة وتأتي إليه العقبان والنسـور تأكل كبـده أو دماغه، ثم يتجـدد ذلك، وتأتي العقبان والنسـور ثانية لتأكلها، وهكذا إلى ما لا نهاية. ولكن جاء الفرج لبروميثيوس من هرقـل الـذي قتل العقبان وفك أصفاد بروميثيوس، فيقول جوته على لسـان بروميثيوس مخاطباً زيوس:

«غـطِّ سـماءك يازيوس/ بسـديم غيـوم/ ومـارس مثـل الغـلام الذي يقطـع رؤوس الأشـواك / شـجر السـنديان ومرتفعات الجبل/ ولكن يجب/ أن تترك لي أرضي/ وكوخي الذي لم تبنيه/ وموقد ناري الذي تحسدني على ناره المتوهجة» [91].

لقد كانت شـخصية بروميثيوس رمزاً للإنسـان الحُرّ الرافض لقيـود المجتمع وقوانينه المُجحفـة، ورمزاً للإنسـان الذي يضحي بنفسـه مـن أجل خدمة الناس ويصبـر على الآلام والمعانـاة لأنه يملك رسـالة ذات مبادئ إنسـانية، ومثله كان سـبارتاكوس رمـزاً للتحرر من الاستعباد والاضطهاد.

الخاتمة

هكـذا وجدنـا أن فكـر جوتـه (1749-1832) فـي جميـع مؤلفاتـه وإنتاجـه الأدبـي والمسرحي كان يتطور وفق فلسفته ورؤيته للإنسان. فقد تدرج من الفردية إلى القومية ومن ثمّ إلى الإنسـانية، إذ كان في مرحلة الشـيخوخة يحرص كل الحرص على أن يكون إنتاجه وفكره ملكاً للبشرية كلها، لا لنفسه ولا لأمته الألمانية وحسب.

ولذا كان جوته من أكثر أدباء الغرب بصفة عامة والألمان بصفة خاصة اهتماماً بالإنسان، بغـض النظر عـن دينه وعرقـه. وانطلاقاً من هذه الرؤية دعـا إلى تبني مفهـوم «الأدب العالمي» (Weltliteratur) الذي انبثق من نزعته الإنسـانية التي تسـمو على كل انتماء ضيّق عرقياً كان أم جغرافياً أم دينياً. وقاده حبه للمعرفة إلى الاطلاع على آداب الشعوب وثقافاتهم المتنوعة.

وبهـذا المعنـى أعلن في برنامج يعود في تاريخه إلى شـهر آذار 1830 ما يلي : «عندما يتسـنى لمثل هذا الأدب العالمي أن يتشـكل عما قريب، وهذا أمر لا مفر منه في عصر السرعة المتزايـدة للاتصـالات، فـلا يجوز لنا أن نتوقع منه شـيئاً أكثر مما يسـتطيع تقديمـه وإنجازه أو خلافـاً لما يقدمه وينجـزه بالفعل، فالعالم الأوسـع، مهما امتدت رقعته واتسـعت، لا يعدو كونه وطناً موسـعاً فحسـب، ولو نظرنا إلى المسألة بدقة، إنّه عالم لم بعد مُعطى لنا، إلّا يقدر ما تمنحه إياه التربة الأهلية ...[92].

إنّ كل إنتاج جوته يتناول الإنسـان ويعكس آماله وآلامه، وكل شـخصياته في أعماله الأدبيـة والشـعرية والمسـرحية والروائيـة تمثل نماذج إنسـانية متنوعـة من أبرزهـا :النموذج العربي، والنموذج الديني، والنموذج الفارسـي، والنموذج الشـعبي، والنموذج الإبداعي، والنموذج الإنساني الكوني.

ولهذا اسـتدعى من النموذج العربي الشـعراء، أمثال امرئ القيس وعنترة بن شداد وتأبط شـراً وعمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سـلمى، و المتنبّي، وأبي تمام. وذكر في قصائد ديوانه «الغربي الشرقي» أسماء : جميل بثينة، ومجنون ليلى، واطلع على المجموعة الشعرية المسماة «الحماسة» لأبي تمام، وأفاد منها كثيراً.

ومـن الشـخصيات الدينية النموذجية اسـتدعى النبي محمـداً ﷺ وخصه بأكثر من قصيـدة ووصفـه بالصفات التي تليق به مبرراً احترامه وتقديـره ومعترفاً بنبوته، منطلقاً من

نزعته الإنسـانية وفلسفته التي تسـمو على كل انتماء ضيق بغض النظر عن الدين والعرق، كما أشاد بزوجة الرسول خديجة وابنته فاطمة الزهراء، وبعض الصحابة.

ونتيجة حبه للشـعر والأدب بأجناسـه وقومياته المختلفة اهتم بالشـعر الفارسـي ممثلاً بحافظ الشيرازي بشكل خاص، وبالفردوسي وجلال الدين الرومي بشكل عام، كما تناول نماذج من شـخصيات عامة مثل زليخا وشـهرزاد، أدّت دوراً كبيراً في حياته؛ فزليخا كانت معادلاً موضوعياً لماريانه التي أحبّها جوته، وشـهرزاد كانت معلمته وأسـتاذته في أسـلوب السرد.

وتناول جوته في أعماله الأدبية والمسـرحية شـخصيات عامة جسّـدت نماذج إنسانية عالميـة، مثل تيمور لنك، وفاوسـت وكوتـس و ڤيرتر وبروميثيوس. وانطلـق جوته في هذه الأعمـال مـن رؤيـة إنسـانية كونه مفكـراً كونيـاً يُفكّر فـي الكون كله. فشـخصية فاوسـت (Faust) – وهـي أشـهر دراما كتبهـا جوتـه– «فردية فـي الظاهـر، وهي فـي الحقيقة تمثل الإنسانية كلها»[93]

وقد خرجت هذه الشخصيات من تاريخيتها المحددة بالزمان والمكان، وغدت تجارب بشـرية عامة ونماذج إنسـانية عالمية ،تمثل الطموح أو الصـدق أو التضحية، أو الحب، والخير والعلم والمعرفة والحرية أو حتى الغدر واللؤم والشر.

ولعل اهتمام جوته بالنماذج الإنسانية يعود إلى رغبته في التصوير من خلالها أخص خصائصـه وخصالـه التـي تتجلى في قدرتـه الإبداعية التـي كان يعتقد أنها نفحـة إلهية من ناحية، وأنها رسالة يتعين عليه تبليغها من ناحية أخرى.

ويعـد جوته أول شـاعر أوروبي مسـيحي يقوم بتأليف ديـوان كامل عن «الغرب والشـرق» ليجسد فيه قيم التسـامح والتفاهم والتعايش بين الحضارتين، وفاعلية الحوار بينهمـا. لهذا جاءت دراسـة صورة الآخر في أدب جوته في إطـار الانفتاح على الآخر الذي يزداد بين الإنسـان فهماً وتفاهماً، ويهيئ بيئة خصبة تزدهر فيها القيم الخالدة التي تنسج المحبة والأخوة والخير بين البشر، وتعلي من قدر الإنسان وفكره، وتبين أثر ذلك في بناء الحضارة العالمية ليعيش الإنسان في عالم أكثر إنسانية ومعرفة وتسامحاً .

الهوامش والمراجع

(1) جوتـه (يوهـان فولفغانج): **الديوان الشـرقي للمؤلف الغربي**، ترجمة: عبـد الرحمن بدوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1980،1 ،ص69.

(2) كاترينا مومزن: **جوته والعالم العربي**، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 194 شباط 1995، ص86.

(3) الخضـر نبـي من أنبياء الله على أرجح الأقوال، كان على عهد ذي القرنين، وبلغ مع ذي القرنين « نهر الحياة» وشرب من مائه وهو لا يعلم به.

(4) جوته والعالم العربي، ص69 وما يليها.

(5) المرجع نفسه، ص 101 وما يليها.

(6) المقصود هنا بالرحلة، رحلة تخيلية من خلال ما قرأه في الشعر الجاهلي وبخاصة المعلقات، عن حياة العرب البدوية.

(7) جوته والعالم العربي، ص102.

(8) Katharina Mommsen, Goethe und die Arabische welt Insel, Insel verlage,1988,s.94.

(9) يبدو أنّ جوته أخطأ في فهم عبارة «دمُه ما يُطل» التي معناها أن دَمه لا يذهب هدراً، ولم يؤخذ بثأره، والتـي أصبحـت فـي قصيدة جوته: لا تبـلُّ دمه قطرات النـدى، وربّما يكون جوته قلـب المعنى وفق التأثير العكسي في الأدب المقارن.

(10) K.Mommsen, Goethe und die arabische Welt. S.153.

(11) جوته والعالم العربي، ص172.

(12) المرجع نفسه، ص173.

(13) المرجع نفسه، ص174.

(14) المرجع نفسه، ص174.

(15) انظر، جوته والعالم العربي، ص101، هامش **من تعليق المراجع د. عبد الغفار مكاوي.

(16) K. Mommsen, Goethe und die arabische welt. S, 81.

(17) كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي (الترجمة بتصرّف)، ص97.

(18) المرجع نفسه، ص175.

(19) عبـد الرحمـن صدقـي: «نفحة شـرقية فـي أدب غربي»، **مجلة الرسـالة**، عـدد 196، 5 يناير 1937، ص593.

(20) انظـر: تركـي المغيـض: «جوته والأدب العربي: دراسـة فـي التلقّي المنتج»، **مجلة أبحـاث اليرموك**، مجلد 20، عدد 2، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2002م، ص151-157.

(21) K. Mommsen, Goethe und die arabische welt. S486 - 504.

(22) حلمي أسمر: «مدخل شرقي لمفكر غربي»، في كتاب: **العرب والألمان** ،إعداد: د. محمد أبو الفضل بـدران، ود. مانفريد مالزان، كلية العلوم الإنسـانية والاجتماعية، جامعـة الإمارات العربية المتحدة، العين 2004م، ص83.

(23) جوته والعالم العربي، 232.

(24) k. Mommsen, Goethe und die arabische Welt. S,81.

(25) عبد الرحمن صدقي: «الشـرق والإسـلام في أدب جوته»، **كتاب الهلال**، عدد 195، القاهرة، يونيه 1967، ص98.

(26) تييـري هنتـش: **الشـرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشـرق فـي المخيال العربي – الرؤية السياسـية الغربيـة للشـرق المتوسـط**، ترجمة د. مي عبـد الكريم محمود، سـورية، لبنان، العـراق، دار المدى، 2006م، ص272، ص291.

(27) انظر، قصائد جوته أمير الشعراء الألمان في مدح الرسول والقرآن Mathuba.org..

(28) أنـور محمـود زنانـي، مستشـرقون منصفون، جوتـه، مقالة علـى موقـع www.alukah.net ، ص6 ومايليها .

(29) K.Mommsen,Goethe and die arabische Welt S.196.

(30) المرجع نفسه ،ص264.

(31) بشير بركات: **الإسلام عند جوته وتولستوي**، علـى موقع أنا البحر www.anaalbahr.com ، ص 3.

(32) المرجع نفسه، ص5 .

(33) قارن، كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، تعليق المترجم، ص 211.

(34) الديـوان الغربـي الشـرقي لجوته : أدب عالمي بروح القرآن، صحيفة الوسـط التونسـية، ص 2، على الموقع www.tunisalwasat.com .

(35) الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 141.

(36) المرجع نفسه ،ص142.

(37) لجوته قصيدة بعنوان « أهل الكهف».

(38) د. عبدالغفار مكاوي: **النور والفراشة، سلسلة اقرأ**، ط1 ، القاهرة: دار المعارف، 1989، ص 119 .

(39) جوته والعالم العربي، ص 304 .

(40) المرجع نفسه، ص 255، وانظر حسن جعفر نورالدين " **جوته والإسلام** " ، **مجلة رسالة النجف**، سنة 5، عدد 15 حزيران 2009، ص3 .

(41) K.Mommsen, Goethe und die arabische Welt , S81.

(42) Herder, Wirkung der arabischen Reiche، نقـلا عن كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 200، وانظر هامش رقم 60، ص 331 .

(43) انظر كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 198 ومايليها .

(44) قصائد جوته أمير الشعراء الألمان في مدح الرسول والقرآن على موقع mathuba.org، ص 30 .

(45) المرجع نفسه، ص33

(46) حلمي أسمر، مدخل شرقي لمفكر غربي، مرجع سابق، ص 83 .

(47) جوتـه والعالـم العربي، ص 306 ومايليهـا، هامش المترجم . وترجمة القصيـدة للدكتور عبد الغفار مـكاوي، وجعـل عنوانهـا «صفـوة النسـاء»، انظـر، النـور والفراشـة، ص 119 ومايليهـا وانظر .K Mommsen, Goethe. S,382

(48) جوته والعالم العربي، ص 306 .

(49) عبـد الغفـار مكاوي: النور والفراشـة، ص 120، وانظر كاترينا مومـزن، جوته والعالم العربي، ص 307.

(50) الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 39–41، وانظر K. Mommsen, Goethe, s.196-197.

(51) الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 36 ومايليها

(52) المرجع نفسه، ص 37.

(53) انظر مقالة : الشـاعر المسـرحي الألماني جوته على موقع شـذرات موسـوعية www.Shatharat.net ص 6 وما يليها . وانظر عبد الرحمن صدقي، نفحة شرقية في أدب غربي، ص 593.

(54) K.Mommsen, Goethe und die arabische welt, s.266.

وانظر، الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 124.

(55) انظر، جوته، والعالم العربي، ص 235.

(56) الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 74-76.

(57) المرجع نفسه، ص 88-95.

(58) نفحة شرقيه في أدب غربي، ص 593.

(59) عبدالغفار مكاوي، النور والفراشة، ص 101.

(60) المرجع نفسه، ص 97 وانظر كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 247 ومايليها

(61) الشاعر الألماني جوته العاشق للإسلام، على موقع www.redlinekw.com

(62) مستشرقون منصفون .. جوته على موقع (أكوته) ص7 www.akuta.net

(63) ناصر أحمد سنة، المعرفة المنصفة .. جوته والإسلام، على موقع www.ennmaryam.com

(64) نفحة شرقيه في أدب غربي، ص 593.

(65) المرجع نفسه، ص 593.

(66) F.Rueckert, Ausgewaelte Werke, Hg von Anemarie Schimmel , Bd.2 Frankfurt 1988, S.30F.

(67) نقلاً عن كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 285.

(68) عدنان الرشيد، " تأثير ألف ليلة وليلة والمعلقات على أدب شاعر ألمانيا جوته " ، **كتاب الرياض** 19، 1994، ص76.

(69) المرجع نفسه، ص 76، ص 158.

(70) جوته والعالم العربي، ص 25.

(71) المرجع نفسه، ص 29

(72) انظر، عبد الصاحب العقابي (تحقيق)، " ديوان ألف ليلة وليلة " ، **كتاب مجلة التراث الشعبي**، العام 1980، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 1980، ص 10.

(73) كاترينا مومزن، البحث عن الأسرار المشرقية لدى جوته على موقع 28 2005/10/www.dw.de

(74) انظر، عبدالرحمن صدقي، الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 107-112 وانظر، بيتر بورنر، جوته- سلسلة أعلام الفكر العالمي، ترجمة د. أسعد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، شباط 1975، ص 165 وما يليها، وانظر، كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، هامش * ص 69 تعليق المترجم.

(75) جوته، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ص 25.

(76) المصدر نفسه، ص 214.

(77) انظر، كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، هامش رقم 45، ص 340.

(78) قورش هو إمبراطور فارسي منذ عام 486 ق.م، احتل مملكة بابل عام 538 ق.م، انظر، د. عدنان الرشيد، تأثير ألف ليلة وليلة والمعلقات على أدب جوته، ص 83.

(79) K.Mommsen, Goethe und die arabische Welt S 67

(80) القصيدة من ترجمة د. عبد الغفار مكاوي، النور والفراشة، ص 119 . وانظر، كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 276.

(81) عبد الغفار مكاوي، النور والفراشة، ص 110 وانظر النص الألماني عند كاترينا مومزن، ص 315.

(82) عبد الغفار مكاوي، النور والفراشة، ص 119، وانظر، كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص306 هامش *.

(83) انظر، نفحة شرقية في أدب غربي، ص 593، وانظر كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ص 248.

(84) نفحة شرقية في أدب غربي، ص 594، وانظر للمؤلف نفسه، الشرق والإسلام في أدب جوته، ص 133.

(85) " تأثير ألف ليلة وليلة والمعلقات في أدب جوته " ، ص 16 وما يليها.

(86) المرجع نفسه، ص 17–21.

(87) المرجع نفسه، ص 22 وما يليها .

(88) المرجع نفسه، ص 26 .

(89) المرجع نفسه، ص 53 وما يليها.

(90) المرجع نفسه، ص 41–49.

(91) انظر بروميثيوس قصيدة للشاعر الألماني جوته على موقع www.alsadaga.com

(92) بيتر بورنر، غوته، سلسة أعلام الفكر العالمي، مرجع سابق، ص 188.

(93) د. محمد العربي بوعزيزي: مكتبة الحضارة العربية الإسلامية في فكر الشاعرين يوهان جوته ومحمد إقبال، في كتاب : العرب والألمان، مرجع سابق، ص 244 .

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

تأسس عام ١٩٩٤م ـ جامعة الكويت

مديرة المركز

أ. د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن

يصدر عن المركز

- سلسلة الإصدارات الخاصة.
- سلسلة إصدارات الاستكتاب.
- سلسلة ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه).
- سلسلة إصدارات لنشر بحوث الندوات والمؤتمرات.
- سلسلة الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية.
- سلسلة التقارير الدورية.
- سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.
- مجلدات وثائق مختارة لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.

سلسلة الإصدارات

سلسلة علمية محكمة

تُعنى موضوعاتها بمنطقة الخليج والجزيرة العربية، وتهدف إلى إبراز خصوصيتها، ورصد قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة في ضوء المتغيرات الجارية.

قواعد النشر

أولاً : أن يكون البحث أو (الدراسة) معنية بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في المجالات الآتية: السياسة، الاقتصاد، الجغرافيا، التاريخ، علم النفس، الاجتماع، الأنثروبولوجيا التربية، اللغة العربية وآدابها، الثقافة، البيئة، القانون، الإعلام ، التراث (الآثار والحضارة والفنون) .

ثانياً: أن تمثل الدراسة إضافة جديدة إلى حقل التخصص.

ثالثاً: لم يسبق تقديمها أو جزء منها للنشر إلى جهة أُخرى.

رابعاً: ألا يقل عدد صفحات البحث أو (الدراسة) عن ١٠٠ صفحة.

خامساً: يقدم المركز مكافأة مالية رمزية عن كل دراسة.

الاشتراكات	نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
	الأفراد	٤ د.ك	٤ د.ك	١٤ دولاراً
	المؤسسات	٢٥ د.ك	٢٥ د.ك	٦٨ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم مدير المركز

ص. ب : ٦٤٩٨٦ (ب) الشويخ ، ٧٠٤٦٠ الكويت

هاتف : ٢٤٨١٦٧٩٩ ـ ٢٤٨١٦٨٠٧ ـ ٢٤٨١٦٨٢٤ (المفتاح الدولي ٠٠٩٦٥) فاكس : ٢٤٨١٤٢٩٥ ـ ٢٤٨١٠٤٧٤

البريد الإلكتروني للمركز cgaps@ku.edu.kw

العنوان الإلكتروني لصفحة المركز www.cgaps.kuniv.edu